

محاضرة التفسير للدكتور صلاح الصاوي - سورة التوبة 1 -

المحاضرة 1

صلاح الصاوي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه ايها الاخوة والاخوات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وحياكم الله جميعا حيثما كنتم. ومرحبا بكم - [00:00:28](#)

مجددا مع هذه المحاضرة الاولى من تفسير سورة التوبة هذه السورة الكريمة من اواخر ما نزل من السور على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا - [00:00:47](#)

عقب غزوة تبوك اي بعد اثنين وعشرين عاما من بدء الوحي والرسالة وكأن هذه السورة انما تمثل البيان الختامي للدعوة والرسالة لقد نزلت في وقت كان المسلمون يتأهبون للخروج برسالة الاسلام - [00:01:09](#)

الى خارج الجزيرة العربية والانفتاح بها على هذا العالم باسره لكي يوطؤوا للحق مهادا ويرفع له راية ويركز له لواء في مشارق الارض ومغاربها توقيتها في غاية الدقة في غاية الحكمة - [00:01:32](#)

نعم هذه السورة لها اسماء اه كثيرة حتى وصل بها بعض اهل العلم الى اربعة عشر اسما من اسمائها التوبة وبراءة هذا نسمان مشهوران بين الناس كما تعلمون سورة العذاب منسوب هذا القول الى حذيفة. المقشقة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين. قاله المقداد - [00:01:56](#)

الفاضحة لانها فضحت المنافقين. قاله ابن عباس المبعثرة لانها بعثت اخبار الناس وكشفت عن سرائرهم الحارس ابن يزيد وابن اسحاق المثيرة لانها اثارت مخازن منافقين ومثالبهم نعمق قاله قتادة الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين قاله الزجاج. يبقى بل اقول لكم ان بعض اهل العلم - [00:02:27](#)

وصل بها كما قلنا الى اربعة عشر اسما. كما قلنا براءة التوبة المخزية الفاضحة الكاشفة المنكلة العذاب المدممة المقشقة المبعثرة المشردة المثيرة الحافرة فضحت هذه السورة الكفار والمنافقين تخاذلين وكشفت افعالهم - [00:02:58](#)

بتلاحزوا حاجة تانية ايضا مجيء سورة التوبة بعد سورة الانفال له حكمة بالغة لقد تحدثت الامثال عن اول غزوة للمسلمين غزوة بدر تحدثت التوبة عن اخر غزوة للمسلمين في زمن رسول الله وهي غزوة تبوك. حتى تستشعر الفرق - [00:03:22](#)

في المجتمع الاسلامي بين الغزوتين فكأنهما سورة واحدة بدايتها نصر امة ونهايتها تمكين لامة وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم. ويمكن لهم - [00:03:49](#)

انهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا. لاحز معنى جميل ايضا سورة التوبة لانها كانت اخر السور او من يائنا او من اواخرها على خلاف من اهل العلم نزولا على النبي صلى الله عليه وسلم - [00:04:14](#)

وبما انها النداء الاخير للبشرية يعني اراد فبعد ان فضح الله فيها احوال الكافرين والمنافقين والمتخاذلين كان لابد ان يعلمهم خاصة وان يعلم الدنيا باسرها. ان باب التوبة مفتوح. هذه سورة التوبة - [00:04:38](#)

باب التوبة مفتوح وتقبل توبة العبد ما لم يغرغر. فعليهم ان يعجلوا بها قبل الغرغرة. فسبحان من وسعت رحمته كل شيء. ومن سبقت رحمته غضبه لقد كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمته تسبق غضبه. هل تعلمون ان كلمة التوبة في هذه السورة -

كانت سبع عشرة مرة أكثر من آية سورة أخرى في القرآن كله. لقد وردت التوبة في هذه الكلمة يعني في قال الكريم في سورة البقرة ثلاث عشرة مرة في النساء اثنتي عشرة مرة في المائدة خمس مرات. بينما في سورة التوبة آ سبع عشرة - [00:05:30](#) مرة كما قلنا فسبحان الذي يفتح ابواب التوبة للعباد جميعا. الكفرة والفجرة والفسقة والعصاة والمنافقين رغم ما اقترفوه في حياتهم من جرائم واثام عظام أرايت ابغ من ان يقول الله جل جلاله للذين فتنوا اوليائه بالنار - [00:05:54](#) واحرقوهم في النيران في حادثة الاعداء ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق. فلو وتاب هؤلاء يا احبتي لتاب الله عليه نعم براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين. لكن لاحظوا شيئا ايضا قبل ان ندخل في تفسير السورة ان - [00:06:20](#)

هذه السورة هي السورة الوحيدة التي لم تفتتح بالبسملة لم تبتدأ بالمسبلة من دون سور المصحف. من دول سور القرآن الكريم كله لاهل العلم تفسيرات كثيرة لعل اصوبها واضبطها وادقها - [00:06:50](#) ما رواه ابن عباس عن عثمان يقول ابن عباس قلت لعثمان ما حملكم انعمتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المؤمنين وقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر. سطر. بسم الله الرحمن الرحيم. ووضعتمهما في السبع - [00:07:17](#) الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد. فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يتلو فقال ضعوها - [00:07:42](#) هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة كانت براءة من اخر ما نزل من القرآن. وكانت قصتهما شبيهة وكانت قصتها شبيهة بقصته. اي قصة - [00:08:00](#)

هذه السورة شبيهة بقصة هذه السورة. وخشيت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا ان لها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. وضعتها في السبع الطول - [00:08:19](#) هذا قول لعله ارجح ما قيل الاقوال الاخرى الواردة ان البسملة رحمة وامان وبراءة نزلت بالسيف واعلان البراءة من المشركين فليس فيها امان. او ان هذا جرى على عادة العرب - [00:08:43](#)

انهم كانوا اذا كتبوا كتابا فيه فيه تبرأ من من عهد واعلان براءة اسقطوا منه البسملة. فلما ارسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا ليقرأها عليهم في الموسم قرأها ولم يبسم على عادة العرب في ذلك - [00:08:59](#) والقول الذي ذكرناه انفا عن عثمان ان الصحابة اختلفوا هل براءة والانفال سورة واحدة؟ ام انها سورة طيب تركوا بينهما فرجة لقول من قال انها سورتان وتركوا البسملة لقول من قال - [00:09:19](#)

انها سورة واحدة فرضي الفريقان وثبتت حجتاهما في المصحف والقرطبي مسلا يقول والصحيح ان البسملة لم تكتب في هذه السورة لان جبريل لم ينزل بها في هذه السورة الشيخ الشنقيطي رحمه الله - [00:09:39](#) القول الذي نقله ابن عباس عن عثمان فيقول رحمه الله اظهر الاقوال عندي في هذه المسألة ان سبب سقوط البسملة في هذه سورة ما قاله عثمان رضي الله عنه لابن عباس وساق الحديث السابق انه يعني - [00:10:01](#)

عندما قال له عثمان كان اذا انزل عليه شيء يعني على النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذا في السورة فيها كذا وكذا. وتنزل عليه الايات فيقول - [00:10:24](#) وهذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الانفال من اوائل ما انزل بالمدينة وبراءة من اخر ما انزل من القرآن. وكانت قصتهما قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:10:39](#)

ولم يبين لنا انها منها فظننت انها منها. فمن ثم قارنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر. بسم بالله الرحمن الرحيم. لكن بنفهم من هذه الرواية وهي كما قلنا لعلها ارجح ما قيل في في تفسير لماذا لم تستهل سورة التوبة بالبسملة؟ ان ترتيب آيات القرآن - [00:10:59](#) توقيفي بتوقيف من النبي صلى الله عليه واله وسلم اه كما ان ترتيب سور القرآن بتوقيف ما عدا سورة براءة اللي وقع فيها نزاع. لكن واضح ان ترتيب الايات توقيفي وترتيب - [00:11:23](#)

صور توقيفي وهذا اظهر ما قيل والدلالة عليه ظاهرة امر ثاني يزوره الشنقيطي رحمه الله يقول الدلالة على ان القياس اصل في الدين الا ترى الى عثمان واعيان الصحابة كيف لجأوا الى قياس الشبه عند عدم النص؟ لما رأوا ان قصة براءة شبيهة بقصة الامثال - 00:11:41

الحقوها بها. فاذا كان القياس يدخل في تأليف القرآن في ترتيبه فما ظنك بسائر الاحكام براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ان او ان صدر هذه السورة - 00:12:08

نزل على حبيبنا صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك يطوفون بالبيت عراة. فكره مخالطتهم وبعث ابا بكر - 00:12:30

اصدق رضي الله عنه اميرا على الحج في تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم. ويعلم المشركين الا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادي في الناس براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين. فلما قفل اتبعه بعلي - 00:12:50

ابن ابي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصابة له فقله تعالى براءة من الله ورسوله اي هذه براءة اي تبرؤ من الله ورسوله الى الذين - 00:13:10

اهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر طيب اه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر اعلان براءة من المشركين الذين آآ يعني كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهود - 00:13:28

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشواط. اهل التفسير اختلفوا في هذه الآية اختلافا كسيرا واظهر ما قيل ان هذه البراءة كانت لذوي العهود المطلقة الغير محددة بزمن - 00:13:51

او من له عهد دون اربعة اشهر يكمل له اربعة اشهر. اما من كان له عهد مؤقت عشر سنين ثمان سنين اقل لاكسر فاجله الى مدته ما دام لم ينقض عهده يعني ولم يظاهر على جماعة المسلمين - 00:14:13

ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهر عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم. فمن كان بينه وبين النبي وسلم عهد فعهد الى مدته وهذا احسن الاقوال واقواها وقد اختاره ابن جرير رحمه الله - 00:14:36

يبقى ظاهر هذه الآية العموم في جميع الكفار والمعاهدين براءة من الله ورسوله الى الذين من من المشركين وانه بعد انقضاء اشهر الامهال الاربعة المذكورة لا عهد لكافر. لكن التفصيل الذي اختاره ابن جرير وتابعه عليه الكلبي او نقله عن الكلب ومحمد ابن - 00:14:59

ابن كعب القرظي وغير واحد يدل على ان المقصود اصحاب العهود المطلقة ومن كان عهده دون اربعة اشهر يكمل له الى اربعة اشهر. اما من كان بينه وبين رسول الله عهد الى مدة فان الله يحب الوفاء بالعهود والعقول. ويأمر بذلك ويحض عليه واوفوا بالعهد ان - 00:15:29

عهد كان مسئولا اوفوا بالعقود. ولهذا قال تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين اللهم اهدنا سواء السبيل يا رب وقتنا عذابك يوم تبعث عبادك يا رب العالمين - 00:15:54

طيب لعل هذا يعني يقودنا الى وقفة هنا ان القتال الوارد في الآية انما يكون لمن نقضوا عهودهم وخفروا موافقتهم واعتدوا على جماعة المسلمين الا تقتاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول - 00:16:17

وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون - 00:16:45

يبقى مهم ايه؟ جدا ان نعرف ان المقاتلة انما تكون لناقض العهود وخافر الذمم والمواثيق. الذين حرضوا على جماعة المسلمين. قاتلوهم. ظاهره على اخراجهم. استطالوا عليه بغوا على بغوا على حرمتهم - 00:17:07

لكن الذين لم يفعلوا ذلك فان ديننا لم يأت فقط وليس له هم قط لمجرد اراقة الدماء. ان محمد بعث هاديا بعث رحمة للعالمين العالم كله امة دعوة امامه احتياطي دعوة مخزون دعوي استراتيجي دعوي - 00:17:30

فالقتال استثناء لمن نقض العهد لمن اعتدى لمن حارب لمن قاتل لمن اخرجنا لمن ظهر على اخرجنا درءا للحرابة وكفا للعدوان يكون القتال. اما من لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا ولم يظاهروا على اخرجنا - [00:17:58](#)

فليست لنا حاجة الى قتالهم بل الحاجة الى فتح مغاليق قلوبهم بانوار القرآن وهداياته الجهاد في شريعتنا يا احبائي حيثما كنتم. ما معناه؟ بذل الجهد نشرا للدعوة ومنعا للفتنة في الدين ونصرة للمستضعفين - [00:18:26](#)

وقد يكون باللسان بلاغا عن الله ورسالاته. وقيامه بحجته على عباده بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد يكون اليد درءا للحرابة وكفا للعدوان الواقع او المتوقع على جماعة المسلمين ونصرة للمستضعفين ويلاحظ ان الجهاد من الامور العظام التي تناط بالسلطين والائمة ولا مدخل فيها - [00:18:49](#)

لاحاد الناس الا ما يتعلق بدفع الصائل. ولا يصلح الجهاد الا عند تحقق القدرة وغلبة المصلحة بل ازيدك قولاً مهما نصت عليه المرجعيات والمجامع الفقهية المحاصرة حيث قالوا في عالم الفضاء المفتوحة - [00:19:18](#)

واحترام الخصوصية الدينية والشيوع ثقافة حماية حقوق الانسان وتجريم الاضطهاد الديني ما اغنى عن جهاد الطلب الذي ما شرع الا لحماية الدعوة ومنع الفتنة في الدين ونصرة المستضعفين. ليس من الجهاد المشروع يقينا - [00:19:40](#)

اعمال العنف التي تنتهك الحرمات وتدمر مقدرات الشعوب وتطال الابرياء من المسلمين وغيرهم سواء كانت من الافراد ام من الجماعات ام من الحكومات؟ بل ذلك من المحرمات القطعية في الاسلام - [00:20:01](#)

ونؤكد في هذا السياق ان الاسلام دين الحق والعدل والتسامح ان المجاورة في الاوطان تنشئ لحمة اجتماعية تعد رابطة للتعايش المشترك بين ابناء الوطن الواحد. مهما تباينت عقائدهم ويترتب عليها واجبات وحقوق متبادلة - [00:20:22](#)

وتجعل اصل حرمة الدماء والاموال والاعراض والمرافق العامة مشتركا بين الجميع ولا مساس بشيء من ذلك الا وفق ما تحدده احكام الشرع وتراتب المجتمعات المعاصرة الادارية والقانونية نرجع بعد هذا الى قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجز الله - [00:20:45](#)

وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج لأكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله يا ترى اربعة اشهر ما المقصود بها في هذا السياق؟ القرآني. هل الاربعة اشهر الحرم - [00:21:17](#)

التي هي كما قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها اربعة حرم اللي هي ثلاثة سرب ذو القعدة ذو الحجة محرم وواحد فرد وهو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ولا اشهر ولا اربعة اشهر التسيير - [00:21:46](#)

لا تهموني نعم المسلمون فيها من قتال المعاهدين تبدأ من وقت الاعلان من وقت البراءة من وقت نزول هذه قال يعني آيات يبقى يبقى تمتد بقى تاخذ ايه؟ يعني يعني تاخذ زي الحجة محرم صفر - [00:22:12](#)

ربيع الاول يعني تمتد اربعة اشهر من تاريخ اعلان هذه الآية الى الناس وهذا هو الازهر الذي يفهم من سياق هذه الايات الكريمات فسيحوا في الارض اربعة اشهر لا لا - [00:22:33](#)

تنطبق باثر رجعي بل اربعة اشهر مستأنفة من تاريخ البلاغ القرآني والاعلان الرباني هذا التسيير وبهذا التأمين للمعاهدين سواء اكانت عهودا مطلقة او عهودا مقيدة بما دون اربعة اشهر نعم واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر - [00:22:54](#)

ان الله بريء من المشركين ورسوله اي هذه براءة من الله ورسوله الى جميع المشركين ان له اربعة اشهر يصيحون فيها في الارض على اختيارهم امنين من المؤمنين وبعد الاشهر - [00:23:24](#)

اربعة اصحاب العهود المطلقة ومن كانت عهودهم اقل من اربعة اشهر ليس لهم عهد ما دام قد وقع منهم عدوان ما دام قد وقع منهم بغي واستطالة. اما اصحاب العهود المؤقتة - [00:23:45](#)

الذين لم ينقضوها ولم ينتهكوا حرمتها فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم. وان توليتم فاعلموا انكم غير معجز الله - [00:24:03](#)

وبشر الذين كفروا بعذاب اليم واذان يعني اعلام من الله ورسوله. وانذار الى الناس يوم الحج الاكبر يوم النحر. افضل ايام المناسك
ازهرها اكبرها جميعا ان الله بريء من المشركين ورسوله. اي ورسوله ايضا بريء من المشركون - [00:24:31](#)
وبمناسبة الضبط اللغوي واهميته انه روي ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ هذه الآية فقرأها لحما فقرأ على هذا النحو ان الله بريء من
المشركين ورسوله فتعجب كيف يتبرأ الله من رسوله كانه جعل رسوله معطوفا على المشركين. كأن الله تبرأ من المشركين وتبرأ من
رسوله - [00:24:55](#)

حاشاه حاشاه جل جلاله فدوهش من من هذا فصيح له النطق وبين له ان هذا القارئ قد لحن. وان الله جل جلاله يقول ان الله بريء
من وشفينا ورسوله اي ورسوله بريء من المشركين كذلك - [00:25:25](#)
ثم قال تعالى فان تبتم يا ايها المشركون ان تبتم مما انتم فيه من الشرك والضلال فهو خير لكم يغفر لكم ما قد سلف تعصوا به دماؤكم
واموالكم واعراضكم ثم تقبلون الى جنة الخلد ونعيم الابد يوم القيامة - [00:25:46](#)
وان توليتم يعني استدمتم ما انتم عليه من الكفر والشرك والشقاق والعناد والبغي والمحاربة فاعلموا انكم غير معجز الله. انتم في
قبضته تحت قاضيه ومشيتته وهو قادر عليكم. وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الدنيا - [00:26:10](#)
بالخزي والنكال وفي الاخرة بالمقامع والالغال وكان ابو هريرة ممن بعثهم ابو بكر في تلك الحجة في جملة من الصحابة اه يعلمون
يعلمون الناس انه لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان - [00:26:34](#)
والنبي صلى الله عليه وسلم اردف بعلي بن ابي طالب فامرهم ان يؤذن ببراءة ان يعلم الناس بنا بها يقول ابو هريرة فاذن معنا علي في
اهل منى يوم النحر ببراءة والا يحج بعد هذا العام مشرك والا - [00:27:00](#)

طوف بالبيت عريان يبقى قبل ان يأتي علي بعث ابو بكر في الحج جملة من المؤذنين من المبلغين من المعلمين يعلمون الناس
وينذرونهم لا يحج بعد العام مشرك لا يطوفن بعد العام بالبيت عريان. وبعدين جاء علي ابن ابي طالب فانضم الى قافلة - [00:27:20](#)
مؤذنين فاذن في الناس ببراءة وايضا اذن فيهم. الا يحج بعد العام مشرك والا يطوف بالبيت عريان اللهم اهدنا سواء السمي. نعم وهذا
وان الله مخزي الكافرين. هذا ما وعد الله به عباده المؤمنين. من نصر دينه واعلان كلمته وفضلان اعدائهم. الذين - [00:27:43](#)
اخرجوا الرسول ومن معه من مكة هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محل الله ولكن الله جل وعلا
نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده - [00:28:11](#)

ومكن لدينه واوليائه المؤمنين وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا واذل الله المشركين وصار للمؤمنين الحكم
والغلبة في ارض الله فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم - [00:28:30](#)
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا. يعبدونني لا يشركون بي شيئا. ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم
الفاسقون - [00:28:58](#)

احبتي اخوتي واخواتي حيثما كنتم نكتفي بهذا القدر في التعليق على هذه الايات من صدر سورة التوبة ونتابع التفسير والتعليق
ونسأل الله السداد والتوفيق فتابعونا وحتى نلتقي بكم في المحاضرة القادمة وهي المحاضرة الثانية من محاضرات تفسير سورة
التوبة. استودعكم الله - [00:29:26](#)
وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته - [00:29:52](#)